الرسالة

(أعمال الرسل ١: ١–٨)

إنّي قد أنشأتُ الكلامَ الأوّلَ يا ثاوفيلُسُ في جميعِ الأمورِ التي ابتدأ يسوعُ يعمَلُها ويعلِّمُ بها* إلى اليومِ الذي صعِدَ فيهِ من بعدِ أنْ أوصى بالروحِ القُدُسِ الرُّسلَ الذينَ اصطفاهم* الذين أراهم أيضاً نفسَهُ حيًّا بعد تألُّمِه ببراهينَ كثيرةٍ وهو يتراءى لهم مدَّةَ أربعينَ يوماً ويُكلِّمهم بما يختصُّ بملكوتِ اللهِ* وفيما هو مجتمِعٌ معهم أوصاهم أن لا تبرَحوا من أورَشليمَ بل انتظِروا موعِدَ الآبِ الذي سمِعتُموهُ مني* فإنَّ يوحنا عمَّد بالماءِ وأمَّا أنتم فستُعمَّدون بالروحِ القدسِ لا بعدَ هذه الأيام بكثيرٍ* فسأله المجتمعون قائلينَ يا ربُّ أفي هذا الزمان تردُّ المُلْكَ إلى إسرائيل* فقال لهم ليسَ لكم أن تعرفوا الأزمنةَ أو الأوقاتِ التي جعلها الآبُ في سلطانه* لكنَّكم ستنالون قوَّةً بحلولِ

إنجيل القيامة

«في البدء كان الكلمة، والكلمة كان عند الله، وإلهًا كان الكلمة. هذا كان في البدء عند الله. به كان كلّ شيء وبغيره لم يكن شيء ممّا كوّن. فيه كانت الحياة، والحياة كانت نور الناس، والنور يضيء في الظلمة والظلمة لا تدركه» (يو ١: ١–٢).

بهذه العبارات الإنجيليّة التي تفوّه بها يوحنّا اللاهوتيّ، تلميذ المسيح الحبيب، والتي هي خلاصةٌ لكلّ لاهوتنا وإيماننا، وعنوانٌ للرجاء الذي به نثبت ونتعزّى، تحتفل كنيستنا المقدّسة في قدّاس أحدِ الفصح المجيد «عيدِ الأعيادِ وموسمِ المواسم». تتّشح الكنيسة في هذا اليوم بحلّة البهاء النقيّة، حلّة التعييد لمن هو كلمة الله وابنه الوحيد، الّذي تنازل أن يولد على الأرض «ويحمل آلامنا» ويموت طوعًا، ويقوم عند فجر اليوم الثالث، ذلك لكي «تكون (لنا) حياة، وتكون بوفرة» (يو ١٠: ١٠)، إذا ما اتّحدنا بنور قيامته وصرنا شركاء في انتصاره على كلّ ظلمة وخطيئة وموت.

يكشف حدث قيامة المخلّص أنّ يسوع الناصريّ ليس فقط المسيح المنتظر لإسرائيل، بل هو المَلِكُ الّذي لا انقضاء لملكه والرّبّ القدّوس الساكن في أورشليم الجديدة، السماء الجديدة والأرض الجديدة.

عاش الرّب يسوع على الأرض لكي يهب نفسه «من أجل حياة العالم». لم يعش لنفسه، بل للآخرين. الحقّ يقال، أنّه عاش ليكمل مشيئة أبيه. كانت إرادة أبيه أن يتجسّد، هو الذي كان في حضن الآب من قبل أن تكون السماء والأرض. ظهر بالجسد على الأرض، واتّخذ ظروف حياتنا وأفراحها وأتراحها. مشى بين الناس وتصرّف، ليكون مثالًا لكلّ إنسان ويموت ميتةً رهيبةً حتى نحيا نحن، فعلّمنا أنّ الطاعة والصلاح والبرّ لا تكون إلا بالتشبّه بطاعته وموته.

السبب في أنّ العالم لا يدرك معنى القيامة، حتّى أولئك الذين يقولون إنّهم مسيحيّون، هو أنّك من أجل فهم القيامة عليك أن تعيشها.

قيامة الرّبّ يسوع هي الحقيقة الأساسيّة والمطلقة للإيمان المسيحيّ. إنّها منطلق الإيمان المحوريّ وأساس كرازة الكنيسة. إنّها توضح معنى حياة السيّد الرّبّ الأرضيّة، وقيمة تعليمه التي تتخطّى الزمن والتاريخ. هي ختم عمله الفدائيّ، إذ تعلن أنّ كلامه وسيرته ووصاياه هي النموذج المحتذى للحياة المقدّسة. قيامة المسيح ضمانة لخلاصنا، وهي تجلب كمال

العدد ١٤ / ٢٠١٨

الأحد ٨ نيسان

الفصح المقدّس

المسيح قام ـ حقاً قام

اتّحاد الله معنا، وتجعل عيشتنا الأرضيّة راسخةً بحياته الإلهيّة الأبديّة.

مع قيامة الإنسان – الإله، تقاد طبيعة الإنسان، بحال لا رجعة فيها، نحو طريق الخلود، وتصبح طبيعة الإنسان مبيدة للموت. حتّى قيامة المسيح، كان الموت مدمّرًا للإنسان، أمّا من بعد قيامة المخلّص، فقد أصبحت طبيعة الإنسان مدمّرة للموت. إذا عاش الإنسان إيمان القيامة والحياة يتخطّى الموت، ولا يعود للموت سلطان عليه، لأنّ «موت المخلّص أعتقنا»، «أين شوكتك يا موت، وأين انتصارك يا جحيم؟». بات الموت عبورًا مؤقتًا.

«فيه كانت الحياة والحياة كانت نور الناس». الإنسان مدعوّ إلى أن يشارك في الحياة الإلهيّة، ويصير ابنًا لله بالتبنّي، والاتّحاد في المسيح عنصر الحياة. المفتاح لفهم عمل المسيح الخلاصيّ ولمعرفة شخصه الإلهيّ، مفتاح السعادة، ومفتاح إدراكنا لما يريده الله لنا، هو أن نعيش على شبه موته. والعيش على شاكلة موته قيامةٌ ونور، لأنّه لم يعد ميتًا، لأنّ «النور يضيء في الظلمة والظلمة لا تدركه». كان ميتًا لفترة قصيرة فقط، لثلاثة أيام، لكنّه عاد إلى الحياة، والآن بات في إمكاننا نحن أن نصبح أحياء من خلال العيش كما عاش ومن خلال الموت معه بالمعموديّة والبذل والمحبّة.

إن كنت تجاهد من أجل اتّباع سيرة الفضيلة، فإنّك ستفهم معنى القيامة. سينيرك الله فتدرك فرح الملائكة وغبطتهم في نور الله الأزليّ. هذا هو الباب الذي ولجه الصدّيقون، الطريق الضيّق والجهاد الحسن الذي يقود الإنسان إلى مكان الإرتياح. كلّ الفرح والبهاء والجمال يحلّ في قلب الإنسان حين يسكن الروح الإلهيّ فيه، ولا أحد يستطيع أن ينتزع هذا الفرح منه. هذا النوع من الفرح لا يضيع. إلا أنّ هذا الفرح لا يتحقق إلا إذا عشنا كما عاش المسيح «وديعًا متواضع القلب» وإذا سلكنا في شبه موته حتّى يرفعنا إلى شبه قيامته.

يبشّرنا إنجيل هذا اليوم بأنّ المسيح – الحياة غلب الموت بموته ومنحنا نور قيامته العجيب، لكي نتغلّب نحن بمعونته، هو القادر على كلّ شيء، على كلّ ما فينا من مماتيّة وضعف وخطيئة. الفصح هو افتتاح عصر جديد، إنّه تذوّقنا، في هذا العصر، لليوم الجديد الذي لا ينتهي في ملكوت الله.

الألم والقيامة

كلّ عام يبرز على السّاحة موضوع أيّهما الأهمّ: يوم الجمعة العظيم (الذي يحلو للبعض تسميته «الجمعة الحزينة») أم الفصح المقدّس . إنّ كنيستنا المقدّسة، كما نذكّر دائمًا، هي كنيسة قياميّة بعيدة كلّ البعد عن تمجيد الألم والتلذّذ به.

الصوم، على عكس ما يعتقد البعض، ليس طريقةً لإيلام الذّات البشريّة أو لإماتتها، بل هو طريقة للتدرّب وترويض النّفس حتّى لا يعود الإنسلاخ عن الأهواء، التي منها شهوة البطن، يشكّل ألمًا، وبهذا يصبح الألم فَرَحًا بأنّنا سوف نقوم، لا اكتئابًا بسبب منع البطن عن المأكل واللسان عن الكلام البطّال والجسد عن الشهوات...

يقول القدّيس يوحنّا الذهبيّ الفم: «لقد صلّى الربّ وسط آلامه ليعلّمنا الصلاة، طالبين أن يُبعد عنّا المخاطر. وإن لم يتحقّق هذا فإنّنا نتقبّل إرادة الله الحلوة»، أيضًا يقول: «كما تألّم من الناس نتألّم أيضًا معه... لذلك لا تقلقكم هذه الآلام بل بالحريّ تفرحكم...». يريد القدّيس يوحنّا أن يلفت انتباهنا هنا إلى أنّ المسيح لم يتألّم عبثًا، إنّما ليعلّمنا أوّلا الصلاة، ثانيًا الصبر، وثالثًا أنّ بعد كلّ ألم ثمّة قيامة وفرح.

هل كانت القيامة لتكون مدوّية ومبعثًا للفرح والبهجة لو لم يسبقها الألم والحزن وصدمة الموت؟! إذا الروح القدس عليكم وتكونونَ لي شهوداً في أورَشليمَ وفي جميعِ اليهوديَّةِ والسامرةِ وإلى أقصى الأرض.

الإنجيل

(يوحنا ١: ١–١٧)

في البدءِ كان الكلمةُ والكلمةُ كان عند الله وإلهاً كان الكلمة* هذا كان في البدءِ عند الله* كلُّ به كان، وبغيره لم يكن شيءٌ مما كُوّن* به كانتِ الحياة والحياةُ كانت نورَ الناس* والنورُ في الظلمة يُضيءُ والظلمةُ لم تدركْهُ* كان إنسانٌ مُرسَلٌ من الله اسمُهُ يوحنا* هذا جاءَ للشهادة ليشهدَ للنور. لكي يؤمنَ الكلُّ بواسِطتِه* لم يكنْ هو النور بل كان ليشهدَ للنور* كان النورُ الحقيقيُّ الذي يُنير كلَّ إنسانٍ آتٍ إلى العالم* في العالمِ كان والعالمُ به كُوّنَ والعالم لم يعرفْهُ* إلى خاصَّته أتى وخاصَّتُه لم تقبَلْه* فأمَّا كلُّ الذين قبِلوه فأعطاهم سلطاناً أن يكونوا أولاداً لله الذين يؤمنون باسمه* الذين لا من دمٍ ولا من مشيئةِ لحمٍ ولا من مشيئةِ رَجُلٍ لكنْ منَ الله وُلدوا* والكلمةُ صار جسداً وحلَّ فينا وقد أبصرْنا مجدَهُ مجدَ وحيدٍ

مـــن الآب مملوءاً نِعمةً وحقًّا* ويوحنا شهد له وصرخ قائلاً هذا هو الذي قلتُ عنهُ إن الذي يأتي بعدي صار قبلي لأنه مُتقدِّمي* ومن مِلئهِ نحن كُلُّنا أخذنا ونعمةً عوض نعمةٍ* لأن الناموس بموسى أُعطي وأمَّا النعمةُ والحقُّ فبيسوعَ المسيحِ حصلا.

تأمل

هناك، من أسافل الجحيم كان الأنبياء والأبرار يبتهلون إلى الله بصلوات حارة ومستمرة طالبين الخلاص من الليل القاتم المظلم، الذي لا نهاية له، السائد عليه الشيطان العدو. كان الواحد يقول لله: «من جوف الجحيم، استغثتُ فسمعتَ صوتي» (يون ٢: ٣)، والآخر كان يبتهل: «أَظْهِرْ وجهك علينا فنخلُص»، وواحد آخر يصلّي: «يا ربّ شدّدني بسلاح قوتك الذي لا يُقهر وتعال إليّ وخلّصني»، وكذلك: «لترتفع حياتي من الهلاك إليك أيها الرب إلهي» (يون ٢: ٧).

لقد سمع الله الجزيل التحنّن هؤلاء كلّهم، ولم يشأ أن يقدّم محبّته فقط إلى البشر الذين كانوا يعيشون معه على الأرض، لكنه بسط رأفته على كلّ المقيّدين في الجحيم، الذين ينتظرونه في ظلام الموت حدثت، في أيّامنا اليوم، عجيبة مع شخص صحيح العقل والجسم، لن يكون لها الوقع نفسه في حال حدوثها مع شخص عليل يتألّم. هذا ما كان يحدث عندما كان الربّ يسوع يشفي المرضى ويطهّر البرص ويقيم الموتى... كان ربُّنا يُحدِث صدمات إيجابيّة تردّ الإيمان إلى ضِعافِه، وتأتي بغير المؤمنين إلى الإيمان.

يقول الرسول بولس: «ولكن إن كان المسيح يُكرَز به أنّه قام من الأموات، فكيف يقول قوم بينكم إنّه ليس قيامة أموات؟ فإن لم تكن قيامة أموات فلا يكون المسيح قد قام! وإن لم يكن المسيح قد قام، فباطلة كرازتنا وباطل أيضًا إيمانكم، ونوجد نحن أيضًا شهود زور لله، لأنّنا شهدنا من جهة الله أنّه أقام المسيح وهو لم يُقِمه، إن كان الموتى لا يقومون. لأنّه إن كان الموتى لا يقومون، فلا يكون المسيح قد قام. وإن لم يكن المسيح قد قام، فباطلٌ إيمانكم. أنتم بعدُ في خطاياكم!» (١كو ١٥: ١٢–١٧). إذا فسّرنا هذا الكلام من الناحية البشريّة، نحن نيأس عندما نُصاب أو يُصاب أحد أحبّائنا بمرض يهدّد الحياة، أو عندما نفقد أحد أحبّائنا. اليأس في المسيحيّة مرفوض، لأنّه دليل على عدم الرّجاء بالقيامة العتيدة. عندما نحزن بسبب الألم أو المرض كأنّنا نقول إنّنا سنبقى قابعين في هذه الحالة من دون تغيُّر، إلاّ أنّ الوضع سيتغيّر حتماً إلى الأحسن لأنّ الربّ القائم، الّذي وطئ الموت بالموت، قام ليُنهِضَ الجميع من كلّ أشكال الموت، وإن لم نؤمن بهذا «فباطلٌ» إيمانُنا.

الألم الأهمّ في الكنيسة ليس الجسديّ، بل الروحيّ، إنّه الخطيئة؛ والقيامة الأبرز لدى المسيحيّ ليست الجسديّة إنّما قيامة النّفس من موت الخطيئة المدلهمّ. يقول الآباء القدّيسون إنّ أعجوبة شفاء المريض والمتألّم تحدث دومًا، حتّى وإن لم نرَها جسديًّا، لأنّها تحدث روحيًّا عندما يتصالح المتألّم مع الربّ ويعود إلى ذاته، بسبب الألم، ويعترف بخطاياه بتوبة، وينال القيامة الحقيقيّة والخلاص من بين براثن الخطيئة. إذًا، الألم جالبٌ للقيامة دومًا.

في النهاية، الإنسان المسيحيّ لا يقف عند حاجز الألم، لأنّ الأحزان والأمراض والآلام وحتّى الموت ما هي إلّا ميدان سباق، نحصل في نهايته على الجائزة الكبرى، التي هي القيامة (بكلّ أشكالها). لكنّ خوض السباق في هذا الميدان يحتاج إلى تدريب مكثّف يتمّ من خلال قراءة الكلمة الإلهيّة والتوبة والإعتراف والمناولة المقدّسة وعيش حياة قريبة من الربّ يسوع، وهكذا «نكون مع الربّ دائمًا» (١تس ٤: ١٧) ونتمتّع بالقيامة البهيّة في كلّ لحظة مع الأبرار والصدّيقين، في أحضان إبراهيم.

قداس الباعوث والينبوع

عند العاشرة من صباح الإثنين ٩ نيسان يترأس سيادة المتروبوليت الياس خدمة قداس إثنين الباعوث في كنيسة القديس نيقولاوس.

كذلك يترأس سيادته عند الساعة العاشرة من صباح الجمعة ١٣ نيسان قداس ينبوع والدة الإله في كنيسة دير دخول السيدة.

ويستقبل سيادته المهنئين بالعيد يومي الأحد والإثنين في ٨ و٩ نيسان من السادسة حتى الثامنة مساءً.

معرض نقوش جبل آثوس

في إطار مؤتمر الحوار البرلمانيّ «التنوّع في الوحدة والحريات الأساسيّة للمسيحيّين والمسلمين في الشرق الأوسط» أقيم معرض «نقوش جبل آثوس وأيقونات العذراء مريم» افتتحه سيادة المتروبوليت الياس بالكلمة التالية:

«تتطلع شعوبنا في مشرقنا المسيحيّ ومحيطنا العربي إلى عمل برلمانيّ يحمل قضاياها ويُعلي شأن الانسان في أزمنة أضحى فيها العمل السياسيّ، في غير قليل من

مبادراته، سلسلة من الصفقات الاقتصادية ذات الطابع الجيوسياسي، صفقات تَعِد الانسان بالحرية والسلام والعدل فيما هي تنتهك حُرُماته وتستنزف طاقاته البشريّة وثروات بلاده الطبيعية.

لقد شَهِد شرق المتوسّط في الآونة الأخيرة صعود التطرّف الإيديولوجيّ المتذرِّع بالدين، تبعته سياسات ادّعت محاربة التطرّف، فحوّلت المنطقة إلى سوق للسلاح والنِخاسة ولُجَج الدم والدموع والمال الآثم. في معادلات كهذه يغيب وجهُ الإنسان وتغيب قضاياه وتتصدّر الأولوياتِ مفاوضاتٌ ومقايضاتٌ تخدم مصالح هذه وتلك من الأمم المقتدرة.

اليوم، مؤتمر الحوار البرلمانيّ «التنوّع في الوحدة والحريات الأساسيّة للمسيحيّين والمسلمين في الشرق الأوسط» يعطينا أملاً بأنّ بين نوّاب شعوبنا مَن يدركون حقيقة الأزمات الراهنة، ومأساة الإنسان فيها، ويسعون سعيًا حثيثًا للإضاءة على السُبُل الحقيقيّة لتلبية حاجات شعوبنا الحيويّة إلى ثقافات التلاقي والانفتاح والتكامل والتثاقف، والإغتناء بخبرة الآخر وتراثه، واحترام هويّته وخصوصيّة مجتمعاته.

ما لا شكّ فيه أنّ الأزمات المتتالية في بلادنا تركت جروحًا عميقة ومخاوف وحواجز تفرّق الناس في تحزّب أعمى، عوضًا عن أن تجمعهم في عمل اجتماعيّ، حزبيّ، سياسيّ واعٍ، جادّ ومسؤول. لذا بتنا بأمس الحاجة إلى جسور يبنيها رسلٌ للسلام، سياسيون مؤمنون بخير الإنسان وبلقاء الوجوه، بالحوار الحقيقي الصادق الشفاف، والذين لا يؤسسون الأوطان على أساس استراتيجيات الغايات المكيافيلية ووسائل بلوغها.

السؤال الذي يهمني أن أطرحه على مؤتمركم الكريم هو: ألم يحن الوقت ليدخل البرلمانيون عبر العالم في حوار جوهري، يمس عمق قضايا الإنسانية وحاجاتها؟ ألم تأت الساعة لنحقق كل وفاق من أجل إعلاء خير الإنسان على حسابات الاقتصاد، والبيع والشراء، والاستهلاك المفرط الذي يحوّل الشعوب إلى سلع لا إلى أشخاص أقانيم هي القيمة، كل القيمة، التي من أجل خدمتها تقوم الأمم والأنظمة والسياسات؟

في هذا السياق يأتي معرض «نقوش جبل آثوس وأيقونات العذراء مريم» ليذكّرنا جميعًا بأنّ مفهوم الأيقونة يقوم على حقيقة استعلان وجه الله في الإنسان المخلوق على صورة الله ومثاله. الإنسان هو غاية عمل الخلق الإلهي، هو غاية الثقافات في تعابيرها، والحضارات في تعاقبها، والدين في نقاوته. الإنسان هو أيقونة الله على الأرض، هو تاج الخليقة وغاية التاريخ.

المشرق هو مهد الأرثوذكسية وموطن التلاقي بين حضارة الروم وثقافة العرب. لعل الرسالة الأبلغ والشهادة التي نؤديها من خبرتنا في هذه المنطقة هي أن الصدق في السياسة والعلاقات، والإيمان بلقاء حقيقي مع الآخر، إنما هي اليوم الحاجة الملحة لمجتمعات الناس، وهي السبيل الوحيد لبناء الإنسان ولتنعّمه بغنى التراثات الدينية المختلفة وآفاق الإبداع والعطاء والنمو في خبرة العيش المشترك.

ننتظر من هذا المؤتمر نقلة نوعية على مستوى منهجية الحوار ومقاربة غنى التنوع الذي ينعم الله به علينا، في شرقنا الأوسط، والذي هو دعوة لتعارف إنساني حقيقي يقود إلى الالتقاء بنور الله وبأيقونته في وجه الإنسان.

للإطلاع على أخبار الأبرشية:

www.facebook.com/metbei

وظلاله وقَبل أن يذهب إليهم. فافتقد الله الكلمة الذين على الأرض بجسده المتنفِّس الحيَّ، وللنفوس التي تركت جسدها على الأرض وأصببحت في الجحيم. ظهر بنفسه الإلهية الطاهرة بدون جسد ولكن ليس بدون ألوهيته.

لنسرع إذاً ونذهب بالفكر إلى الجحيم لكي نرى هناك كيف يتغلّب بقدرة عظيمة على المتسلّط على النفوس المقيّدة. يرفع المسيح بصليبه من الوسط أبواباً لا نوافذ لها، وبمسامير إلهية يسحق الأمخال الدهرية، وبيديه الإلهيتين المربوطتين يذيب كالشمع السلاسل العسرة الحل. بالحربة التي طعنت جنبه الإلهي يطعن قلب الطاغية. يسحق قوّة قسيّه في الوقت الذي يبسط يديه الإلهيتين بمثابة قوس على الصليب. لذلك إن تبعت المسيح بهدوء، ترى الآن أين رُبط الطاغية وأين عُلّق رأسه، كيف نبش سجن الجحيم وحرّر المقيّدين، كيف داس الحيّة القديمة وأين علّق رأسها، كيف حرّر آدم وأقام حواء، كيف هدم الحائط المتوسط وأين أمات الموت، وكيف أعاد الإنسان إلى مرتبته الملكيّة الأولى.